

د. إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا

أضواء جديدة على دور المهالبة السياسي والثقافي في جرجان

(٣٨٦.٩٧ هـ / ٧١٥.٩٩٦ م)



صدر بدعم من "مجلس البحث العلمي" بسلطنة عمان، ومن خلال " البرنامج الوطني
" لدعم الكتاب

بالنادي الثقافي بمسقط، بالاشتراك مع مؤسسة الانتشار العربي، ببيروت 2012 م،
: كتاب

أضواء جديدة على دور المهالبة السياسي والثقافي في جرجان
(996-715 م - 97 - 386 هـ)

للدكتور إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية
كلية الآداب والعلوم الاجتماعية
جامعة السلطان قابوس

نبذة عن الكتاب:

يقع الكتاب في 223 صفحة من الحجم المتوسط بغلاف عادي ، وقد كشف المؤلف الفاضل
فيه
عن دور المهالبة السياسي والثقافي في مدينة جرجان خلال حقبة تبتيء باواخر القرن
الاول الهجري ، وتنتهي باواخرالعقد الرابع
الهجري . واننا اذ نبارك للمؤلف هذه الاضافة القيمة للمكتبة التاريخية العربية ، يسرنا
ان نقدم الى قرائنا الافاضل ، نبذة
مقتبسة من الكتاب نفسه .

أهمية موضوع الكتاب:

اعتمدت الحكومات المركزية والمستقلة منذ قيام الدولة العربية الإسلامية في تدبير شؤون
الحرب والسياسة والإدارة على النابهين من رجالات الأسر الشريفة. وكان آل المهلب
العمانيون أسرة ذات رياسة ونباهة منذ فجر الإسلام، فقد كان لهم دور بارز في الفتوحات
الإسلامية على الجبهة الشرقية في عهدي عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، كما شاركوا
مثل غيرهم من العشائر والقبائل العمانية في فتوح فارس والسند منذ استقرارهم بالبصرة
في خلافة عثمان بن عفان، وكانوا في حزب الخليفة علي بن أبي طالب بعد معركة الجمل
بالتزام طاعة أولى الأمر، فالتحقوا العوتبي ضد خصومه. وقد اشتهر المهالبة كما يذكر
بخدمة الأمويين وصاروا من رجالاتهم، وارتفعت مكانتهم لديهم، فقد عهدوا إلى المهلب بن
أبي صفرة رأس هذه الأسرة بعدة مهام عسكرية كبرى في خراسان والسند وبلاد ما وراء
النهر، كما أوكلوا إليه وأولاده مهمة التصدي لخطر الخوارج الأزارقة والقضاء عليهم.

وتفقد المهلب وأولاده وأشهرهم يزيد أرقى المناصب الإدارية والعسكرية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وولده سليمان، وواصلوا جهودهم في الفتوحات في بلاد فارس وبلاد ما وراء النهر. وهكذا برز منهم رجال ذاع صيتهم في الآفاق بما اتصفوا به من علم، وحزم وشجاعة، وكفاية إدارية، وجود وكرم، وفي ذلك يذكر ابن خلكان " وخلف المهلب عدة أولاد نجباء كرماء أجواد أمجاد " ، وقد " أجمع علماء التاريخ على أنه لم يكن في " دولة بني أمية أكرم من بني المهلب .

ورغم النكبة التي حلت بآل المهلب على أيدي الأمويين في موقعة العقر، وما أصابهم بعدها في قنديل (102 هـ / 720 م)، من قتل وأسر وتشريد، فقد نشأ منهم جيل جديد بعُمان والعراق وخراسان وجرّجان وغيرها، وفي عصر الدولة العباسية ضربوا في كل فضيلة بسهم؛ فكان منهم القادة العسكريون، والوزراء والكتاب وولاية الأقاليم، وحملة العلم ورواة الحديث، والأدباء والشعراء. ومع أنهم في الأصل عُمانيون، غير أن نشأتهم وإقامتهم خارج عُمان جعلتهم لا يُعرفون هناك إلا بالنسبة إلى البلد الذي سكنوه وتناسلوا به، فقيل: المهالبة البصريون، والكوفيون، والبغداديون، والخراسانيون، والجرجانيون، والسمرقنديون، والمكيون، والمصريون، والأندلسيون وغير ذلك.

وقد اهتم الكُتاب القدامى من المهالبة وأنصارهم ومواليهم بنسبهم ومناكحهم و تاريخهم، فخصصوا لذلك بعض مصنفاتهم؛ فقد ألف خالد بن خدّاش بن عجلان المهلبى مولاهم (ت 223 هـ / 838 م)، وكان مؤرخاً ومحدثاً ثقة، كتابين عن تاريخهم، والخدمات الجليلة التي أدوها للدولة الأموية، وتصديهم للخوارج الأزارقة، الكتاب الأول بعنوان " أخبار آل المهلب "، والثانى بعنوان " الأزارقة وحروب المهلب "، وأفرد العلامة أبو الفرج الأصفهاني (ت 362 هـ / 972 م) صاحب ذي الوزارتين الحسن محمد بن هارون المهلبى (وزير معز الدولة بن بويه في عهد الخليفة المطيع العباسي)، كتاباً عن نسبهم بعنوان " نسب آل المهلب "، وكان للمغيرة بن محمد المهلبى كتاب بعنوان " مناكح آل المهلب "، وصنف يزيد بن محمد المهلبى الشاعر كتاباً بعنوان: " كتاب المهلب وأخبار ولده "، كذلك خصهم

النسابة الثقة محمد بن عبد الرحمن العبدى (توفي قبل سنة 103 هـ / 721 م)، بكتابين وللأسف فإن هذه [1] هما: " مناكح آل المهلب "، و " نسب ولد أبي صفرة المهلب وولده الكتب مفقودة ولم تصل إلينا، ولم نطلع على شئ منها. غير أن المؤرخين والنسابة، وأصحاب كتب الحديث، والتراجم والسير واللغة والأدب قد ذكروا أخباراً متفرقة عن نسب آل المهلب وتاريخهم ونشاطهم السياسي والحربي، ومآثرهم في الإقدام والجود والكرم، والعلم والأدب في ثنايا مصنفاتهم، واعتمد عليهم المؤرخون المحدثون الذين تحدثوا عن آل المهلب عند تاريخهم لحركة الفتوح الإسلامية على الجبهة الشرقية، ودراسة تاريخ الدولة العربية الإسلامية منذ عصر الراشدين حتى عصر الدولة العباسية

وقد كان لجرّجان - وهي حالياً مدينة إستراباذ من أعمال مازندران في جمهورية إيران

الإسلامية - شأن عظيم في التاريخ العلمي الإسلامي، لشهرتها بكثرة النابغين من علمائها وشيوخها وفضلاتها. وكان للمهالبة دور سياسي وثقافي مهم بها؛ فهم الذين فتحوها ومَصَرَّوها، ونشروا الإسلام بها. وكانت من ولاياتهم زمن الأمويين، كما تقلد أحدهم وهو خالد بن يزيد ولايتها وقيادة جيوشها في عهدى المهدي وولده الهادي العباسيين. وقد استقر بعضهم هناك وتناسلوا بها، ومن أشهرهم: عقب مخلد بن يزيد بن المهلب، وأبناء عمه أبي غيينة (غيينة) ، (وقيل اسمه عزرة) ، بن المهلب وأحفادهم، وأسباطهم، ومنهم: أسباط الفقيه المُحدِّث عبد الرحمن بن عبد المؤمن

أبناء ابنته (للأسف لم نعثر على ترجمتها في المصادر المتاحة بين أيدينا) زوجة الفقيه حمدان بن محمد المشتوتي الجرجاني ، وكانوا من العلماء النابغين؛ لأنهم ينتسبون إليهم من جهة الأم، وقد ورد في الأثر أن ابن أخت القوم منهم ، كما يرجع إليهم الفضل أيضا في تكوينهم العلمي المتين.

وقد برز من هؤلاء المهالبة علماء في الفقه، والحديث، ورواية الأخبار، وكان منهم أيضا شعراء، وزهاد. ومع ذلك فلم يوجه الكُتَّاب المحدثون لدورهم هذا ما يستحقه من اهتمام، فلم يفرّدوا له بحثاً قائماً بذاته، وكل ما كتب عنه لا يعدو نتفاً متفرقة عن فتح يزيد ابن المهلب لجرجان، وبنائها في ثنايا الحديث عن الفتوحات الإسلامية، بينما أغفلوا إسهاماتهم الثقافية الأخرى هناك، ولم يأتوا عليها، رغم معالجة بعض الباحثين في الأونة الأخيرة موضوعات عن الحياة الثقافية بخراسان وبلاد ما وراء النهر في القرنين الثالث والرابع للهجرة، منها: دراسة إحسان ذنون الثامري بعنوان " الحياة العلمية زمن السامانيين". مما دفعني لمعالجة هذا الموضوع في هذا الكتاب مستهدفاً إبراز ملامح هذا الدور وأهميته، وتسليط الضوء على بعض مآثر آل المهلب ومناقبهم المنسية، بتوظيف بعض المصادر المنشورة والمُحققة التي لم توظف من قبل بالقدر الذي يتناسب وأهميتها، منها: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، والمُعجم في أسامي شيوخ أبي بكر الإسماعيلي لأبي بكر الإسماعيلي الجرجاني، وتاريخ جرجان للسهمي الجرجاني.

وقد حددت الفترة من 97 هـ / 715 م إلى 386 هـ / 996 م كمجال زمني للدراسة، لأن التاريخ الأول يمثل فتح جرجان ثم بناءها وتمصيرها على يد يزيد بن المهلب في العام التالي، وبداية دور المهالبة السياسي والثقافي بها. أما التاريخ الثاني فهو تاريخ وفاة أبي ذر جندب بن أحمد آخر من عثرنا عليه من مشاهير آل المهلب هناك، كما كانت تلك الفترة (خاصة القرنين الثالث والرابع الهجريين) تمثل الحقبة الذهبية لإشعاع الحضارة الإسلامية وتعدد مراكزها الثقافية شرقاً وغرباً، ومنها: جرجان. ومع ذلك فقد ظلت بصمات

المهالبة باقية بجرجان، وآثارهم العلمية متداولة في الأفاق فترة طويلة من الزمن بفضل النابغين من تلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم.

مناهج المُعالجة:

اعتمدت على عديد من المناهج النقدية في معالجة موضوعات هذا الكتاب؛ فقد عولت على منهج يقوم على جمع النصوص المشتته من مظانها التاريخية الأصلية، والاستعانة بالمصادر الفقهية والجغرافية والأدبية، وكل ما يتضمن إيماءات مفيدة وشذرات ذات قيمة لاقتحام الجوانب المضببة من الموضوع، ثم ترتيبها وتنسيقها حسب التقسيمات المطروحة، وقراءتها قراءة مؤسسة تمتد عبر مساحات معرفية متنوعة تسعى إلى التفسير والنقد **بالمنهج التحليلي** وكشف أبعاد النص واستنباط مضمراته فيما يعرف مع الحرص على توثيق كل فكرة أو تحليل أو اجتهاد انطلاقاً، **(الهرمونيظياً) الاستقرائي** من الأصول التي اتسمت بالكثافة والتنوع. وقد حرصت على تخريج الأحاديث النبوية من مظانها الأصلية، وتناولتها بالجرح والتعديل، قصد التحقق من صحتها. وحرصت أيضاً على الاستشهاد بأكبر قدر ممكن من النصوص التاريخية، والدينية، والأدبية، فلم أدخر وسعاً في التنقيب في ثنايا أرشيفات الكتب التراثية، حتى أننا لا نكاد نطالع صفحة من صفحات الكتاب إلا ونجد فيها اقتباساً أو أكثر، وبلغ عدد الإحالات المصدرية ثلاثمائة وست وتسعين إحالة، لتدعيمه من جهة، ولوضع القارئ في الصورة المعاصرة من جهة أخرى. كما لا تخلو معظم صفحات الكتاب من جديد في تحقيق الأحداث، والوقائع، والتواريخ، والأسماء، والمواضع، والأماكن.

اعتماداً على المادة العلمية الجديدة التي وُظفت في سد **المنهج الوصفي** كما اتبعت الفجوات المتعلقة بفتح يزيد بن المهلب لجرجان، ودور المهالبة الثقافي بها، خاصة تراجم الفقهاء والمحدثين المهالبة الجرجانيين، وقد عمدت إلى التفصيل، وأكثرت من ذكر الأحداث والوقائع. أما المسائل المتفق عليها بين الباحثين سلفاً؛ فلم أسترسل في عرضها إلا بالقدر الذي يخدم استمرارية العرض، أو يستلزم إضافة قرائن جديدة لم تكن متاحة من خاصة عند معالجة أسباب فتح جرجان وأهميته، **المنهج المقارن** قبل. واعتمدت أيضاً مقارنة بفتوح بلاد ماوراء النهر، وأسباب هزائم المهالبة في العقر وقنديل، وأبرزها الانقسامات الخطيرة داخل صفوفهم، وخذلان أنصارهم وانفضاضهم عنهم قبل بداية هذه المعارك، فقارنتها بمثلتها التي وقعت في صفوف الخليفة علي بن أبي طالب عند قتاله لأهل الشام قبل صفين، وقارنت أيضاً بين مقتل المهالبة بين يدي الخليفة يزيد بن عبد الملك بعد قنديل، ونكبة العلويين على يد الخليفة يزيد بن معاوية عقب كربلاء.

التفسير الإسلامي للتاريخ، فذهبت إلى المنهج كذلك عولت في هذا الكتاب على **الإيمان عند المهالبة الأخلاقي** المستمد من

الجرجانيين، كان أحد الأسس التي هيأت لهم تربية أولادهم تربية علمية إسلامية خالصة، وغرس القيم الدينية في نفوسهم منذ صغرهم، ورجحت أن إدراك المهالبة الزهاد حد الاعتدال في الزهد، وأنه لا يتعارض مع الثراء والتمتع بما أحل الله لعباده من ملذات الحياة، وأن تربيتهم لمريديهم على القيم الروحية وتعميقها في نفوسهم، كانت انعكاساً للروح الدينية والإيمان العميق. وأن بعض الفقهاء المهالبة حرصوا على تعليم تلاميذهم القرآن الكريم وتفسيره، لينالوا ثواب تعليمه كما بشر به الرسول ﷺ.

تقسيم الكتاب:

اقتضت طبيعة موضوع الكتاب أن يُقسم إلى مقدمة، ودراسة تمهيدية، وفصلين أهمية الموضوع، والدراسات السابقة، وتحليل لأهم المقدمة وخاتمة. وقد تناولت في فكانت عن نسب الدراسة التمهيدية المصادر، ومناهج المُعالِجة، وتقسيم الكتاب، أما المُهالِبة وأوليتهم ودورهم في خدمة الدولة العربية حتى سنة 86 هـ / 705 م. وعالجت دور المهالبة السياسي بجرجان منذ فتحهم لها حتى العصر العباسي الفصل الأول في الأول، أشرت فيه إلى اسم جُرجان وموقعها الجغرافي وبداية اتصال المسلمين بها، ثم تحدثت عن يزيد ابن المهلب والفتح الأول لجرجان 97 هـ / 715 م، ثم فتحه الثاني لها 98 هـ / 716 م، كما تناولت نكبة المهالبة على يد الأمويين وضياع سلطانهم بجرجان، وأخيراً خصصت مبحثاً للحديث عن علاقة المهالبة السياسية بجرجان واستيطانهم بها فقد خصصته للحديث عن دورهم الثقافي هناك، الفصل الثاني خلال العصر العباسي. أما وعرضت فيه المقدمات التي مهدت لهذا الدور، ثم تناولت إسهاماتهم في العلوم الدينية بجرجان، كالفقه، وعلم الحديث، وصلاتهم بمراكز الثقافة الإسلامية الأخرى، وانتشار علومهم بها. وكنت أقدم بذكر النشأة

العلمية للمهالبة وتكوينهم الثقافي على مشايخ بلدهم موضعاً مدى استفادتهم منهم، ثم أتبع ذلك بذكر تلاميذهم بجرجان والروايات التي سمعوها منهم وحدثوا بها بجرجان وغيرها من الأمصار الإسلامية، وأخيراً رحلات المهالبة العلمية، وتناولت في هذا الفصل أيضاً رعاية قادة المهالبة ولاة جرجان للحركة الأدبية بها، ومشاركة بعضهم فيها، وشهرة بعضهم في رواية التاريخ والأخبار، وأشرت أيضاً إلى انخراط بعضهم في حياة الزهد. وختمت هذا الكتاب بذكر أهم النتائج التي انتهت إليها. ثم أوردت قائمة بالمصادر العربية، والفارسية المُعرّبة، والمراجع العربية والفارسية والأوربية المعربة، والأجنبية ومواقع يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالموضوع، الأول منهما: **ملحقين** الإنترنت، وأخيراً ألحقت بالكتاب عن شجرة نسب المهالبة، والثاني: عن شجرة نسب آل المهلب في جُرجان، كما عن موقع جُرجان بخريطة ذيلته.

الخاتمة

استعرضنا في هذه الدراسة دور المهالبة السياسي والثقافي في مدينة جرجان منذ الفتح الإسلامي لها حتى أواخر القرن الرابع الهجري (715-996 م). واستطاع الباحث تأكيد بعض الحقائق التاريخية التي (386-97) لها علاقة مباشرة بالموضوع، والتوصل إلى عدد من النتائج المهمة من خلال تحليل بعض النصوص ومناقشتها، واستنتاج بعض النصوص الأخرى التي وردت في المصادر التاريخية والأدبية والفقهية، نوجزها فيما يلي:

أن الفتح الإسلامي لجرجان في عهد الخلفاء الراشدين لم يكن مستقراً، وأن قتيبة بن (1) مسلم الباهلي رغم جهوده العسكرية العظيمة في هذه النواحي لم يضع حداً لتجاوزات

الجرجانيين.

- (2) أن يزيد بن المهلب كان خبيراً بأحوال منطقتي جرجان وطبرستان، مُطلعاً على فساد أهلها، وأنه لم يُبالغ في تقدير خطورة ترك المسلمين لجرجان دون الاستيلاء عليها.
- (3) أن معاملة يزيد بن المهلب القاسية لأهالي دهستان، أدخلت الرعب والفرع في نفوس الجرجانيين فهابوه وسارعوا إلى مسالمتة وموادعته.
- (4) أن فتح يزيد بن المهلب الأول لجرجان لم يكن حاسماً، فقد غدر أهلها وانقلبوا على الحامية الإسلامية، وقطعوا الطرق ومنعوا وصول الإمدادات إليه وهو على حصار طبرستان، فهاله ذلك وعظم عليه، فصالح أهالي طبرستان، وانصرف إلى جرجان و أعاد فتحها وثار من أهلها.
- (5) أن يزيد بن المهلب كان معترراً بفتح طبرستان وجرجان متباهياً بهما، لأهمية هذا الفتح، وبروزه كفاتح عظيم يتفوق عسكرياً على السابقين عليه من قادة الفتح الإسلامي في المشرق.
- (6) أنه ترتب على فشل ثورة يزيد بن المهلب على الخليفة يزيد بن عبد الملك، ومقتله ومعظم إخوته وأهل بيته بالعقر وقنديل، أن حلت ببقيتهم وأعوانهم بجرجان وخراسان والعراق النكبات والمصادرات، وضياع سلطنتهم هناك.
- (7) أن علاقة المهالبة السياسية بجرجان لم تنقطع في عصر الدولة العباسية، وأن ولاية خالد بن يزيد بن حاتم لجرجان في عهد المهدي وولده الهادي حفزت بعض أقاربه ممن كان لأسلافهم علاقة وطيدة بها على الخروج إليها والاستقرار بها، ومنهم: نسل مخلد بن يزيد بن المهلب، وعقب أبي عيينة وقبيصة ابنا المهلب.
- (8) أن المدة التي مكث فيها يزيد بن المهلب بجرجان بعد فتحها كانت مليئة بالأعمال و المنجزات المهمة؛ كبناء جرجان وتمصيرها واختطاط المساجد الكثيرة بها، ونشر الإسلام بين أهلها، وقد اعتبرت هذه الأعمال مقدمة لدور المهالبة الثقافي هناك.
- (9) أن المهالبة ساهموا بفعالية في الحياة الثقافية بجرجان، فبرزوا في علمي الفقه و الحديث. وأن إبراهيم بن هانئ شيخ الشافعية بجرجان في وقته، والحافظ المحدث عبد الرحمن بن عبد المؤمن وغيرهما من العلماء المهالبة بلغوا مكانة علمية رفيعة، ودوّت شهرتهم في الآفاق، وساهموا في تشكيل ثقافة تلاميذهم الذين أصبحوا من أبرز علماء جرجان والأمصار الإسلامية.

أن نساء المهالبة ومن أشهرهن الفقيهة أم الفضل هبة العزيز بنت أحمد بن عبد (10) الرحمن ساهمن أيضاً في الحياة العلمية بجرجان بفعالية كبيرة.

أن المهالبة اهتموا بالحركة الأدبية بجرجان منذ فتحها وتمصيرها، ف جذب يزيد بن (11) المهلب إليها الشعراء والأدباء وأغدق عليهم العطايا. كما شارك بعض الشعراء المهالبة في مجالسها الثقافية خلال العصر العباسي الأول.

أن المهالبة الجرجانيين اهتموا بالتاريخ والأخبار، وبرز منهم: إبراهيم بن هاني بقوة (12) حفظه للأخبار وراويته ونقده لها، حتى صار مصدراً أصيلاً لمن جاء بعده من مؤرخي جرجان كالسهمي صاحب تاريخ جرجان.

أن بعض المهالبة الزهاد أدركوا حد الاعتدال في الزهد، وأنه قد تطور من مجرد (13) عبادات ونسك مظهرها التقشف، إلى فكر متوازن ينطوي على رؤية فلسفية للوجود، فلم ينخرطوا في السلوكيات القاسية لغيرهم من الزهاد، خاصة تعذيب الأبدان وحرمان النفوس من اللذات المباحة.

[عودة الى صفحة دراسات](#)